مجلة المناهج المعاصرة وتكنولوجيا التعليم
Print ISSN: - 2974-394X
Official URL: - https://msite.journals.ekb.eg/

السبك في كتاب بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية
(دراسة في ضوء علم اللغة النصي)

إعداد
مي عاطف عبد الرازق إسماعيل
باحثة ماجستير بقسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية
كلية التربية – جامعة طنطا

مجلة المناهج المعاصرة وتكنولوجيا التعليم
Print ISSN: - 2974-394X
Official URL: - https://msite.journals.ekb.eg/

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فقد حظيت كتب اللغة والتفسير والنحو عناية كبيرة من الدارسين، لأنهما أساس العلوم اللُغوية وأسماها؛ فبسبب هذه العلوم تكمن الدراسة وتخرج اللغة العربية من حيز واسع إلى حيز أوسع منه، فهي أشرف اللغات وأجلها؛ لذا يجب العناية بها..

وقد أحتلت الدراسات النصية الصدارة بين هذه العلوم الحديثة وتطورت الدراسة لتخرج من حدود الجملة إلى حدود النص وذلك لتسهيل عملية التواصل والتفاعل بين المتكلمين، وذلك من خلال سبعة معايير هي: السبك، والحبك، والقصدية، والمقبولية، والإعلامية، والموقفية، والتناص.

ومِنْ ثَمَّ فقد شغلت ظاهرة التماسك النصي العُلماء على مرِّ العصور على اختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم فقد اعتنى بها المفسرون والقدماء والنقاد والمحدثون عندما جعلوها معياراً للمفاضلة واعتبروها من أهم الأسس الفنية لنقد النص.

ولكن هذا لا يعني أن نحو النص بديل عن نحو الجملة ولا يغني عنه لأن نحو الجملة يتعامل مع النواة الأساسية للنصوص، ونحو النص ينطلق إلى التركيبات اللُغوية ومدى التماسك والترابط والانسجام بينهما.

ولعلنا نجد أن أحدث دراسة في هذا النص تعود إلى (زيلغ هاريس) الذي قدم منهجاً لتحليل الخطاب بهدف الوصول إلى اكتشاف بنية النص (structure of text) وركز على الجمل والعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة ، وربط أيضاً بين اللغة والموقف الاجتماعي[١].

وهذا ما أكد عليه المؤتمر الثالث للعربية والدراسات اللغوية بـ " ضرورة تتبُّع الاتجاهات النصِّية لدى العلماء العرب القدامى من المفسرين والبلاغيين والنحاة والنقاد بغية بناء نظريةٍ نصيةٍ عربيةٍ متكاملة الاهتمام بالجانب التطبيقيِّ لبلورة أركان هذه النظرية " [٢].

وحاولت أن استخلص من هذه المعايير النصية السابقة الذكر معيارين فقط ألا وهما: السبك والحبك حتى أخوض البحث فيهما من خلال التطبيق عليهما في كتاب بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية الذي قام فيه بتفسير بعض الآيات القرآنية ومزجها بعلم النحو والاستدلال على ذلك أيضاً ببعض الأحاديث النبوية ، فجاء هذا الموضوع : السبك والحبك في كتاب بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (دراسة في ضوء علم اللغة النصي) .

مجلة المناهج المعاصرة وتكنولوجيا التعليم
Print ISSN: - 2974-394X
Official URL: - https://msite.journals.ekb.eg/
Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

أسباب اختيار الموضوع:-

يرجع سبب اختياري لهذا الكتاب للآتي: -

١. لحبي الشديد للخوض في تفسير آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وما بها من دراسة نحوية ونصية ودلالية وغيرها ، ومدى تعلقي بمثل هذا النوع من الدراسة.

٢. رصد ظاهرة التماسك النصي وتحليل عناصره والكشف عن فوائده من خلال ذكر نماذج من القرآن والأحايث النبوية ، فقد ذكر د. محمد حماسة أن: النظرية الحقيقية وليدة عمل متكرر من خلال النص ، ولذلك فنحن بحاجة إلى جهد كبير وقراءات كثيرة متأنية تسوى هذه النظرية [٣]؛ وذلك لمعرفة النص من رؤية مختلفة وهدف أسمى وفهمه فهماً عميقاً ودقيقاً[٤].

وعنوان هذا البحث هو : السبك في كتاب بدائع الفوائد، ويشمل مبحثين هما: -

المبحث الأول: تعريف السبك وأهميته وعناصره.

المبحث الثاني: الإحالة ومفهومها ، مع التطبيق عليها من كتاب بدائع الفوائد.

ثم الخاتمة وأتناول فيها أهم نتائج البحث وألحقتها بقائمة المراجع والمصادر التي سوف أعتمد عليها في بحثي هذا مرتبة بطريقة اسم المؤلف ثم يأتي الفهرس.

وبعد.

فقد بذلت في إعداد هذا البحث ما استطعت من جهد ووقت وأخلصت النية لوجهه الكريم راجيةً منه الأجر فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وأسأل الله العفو والغفران إن لم أُصب فما أبريء نفسي ، فالكمال لله وحده وما توفيقي إلا بالله فإن كنت موفقة فمن عند الله وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

التمهيد

أولاً: التعريف بابن قيم الجوزية وكتابه بدائع الفوائد:-

نشأته ومولده:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي الدمشقي الحنبلي [٥] الشهير بابن قيم الجوزية [٦] واكتسب هذه الشهرة نسبةً إلى والده الشيخ (أبي بكر بن أيوب) الذي كان قيِّماً على المدرسة الجوزية[٧] بدمشق فلُقب بـ (قيِّم الجوزية) ثم اشتهرت من بعده أحفاده بهذا اللقب[٨].

ولد في اليوم السابع من شهر صفر سنة ستمائة وواحد وتسعين للهجرة (٦٩١هـ)[٩] في "زُرع" وهي قرية من قرى حوران تبعد عن مدينة دمشق خمسة وخمسين ميلاً جنوب شرقيها [١٠] من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي فهو فقيه، أصولي، مفسر، متكلم، نحوي، عارف الحديث ومعانيه ودقائقه[١١].

نشأ في بيت علم وفضل وصلاح وتقوى فأبوه هو قيم الجوزية الشيخ الصالح العابد الناسك أبو بكر بن أيوب ، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف ، وتُفي ليلة الأحد التاسع عشر من ذي الحجة بالمدرسة الجوزية سنة (٧٢٣هـ)[١٢].

وأخوه زيد الدين: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر [١٣]، أولاده إبراهيم: الذي شرح ألفية ابن مالك وسماه " إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك " [١٤] ، وعبدالله كان حافظاً للقرآن [١٥] فقد علم أولاده ما تعلَّمه وكان له تأثير كبير على طبائع الأشخاص وتكوينهم وحياتهم[١٦].

وفاته:

توفى – رحمه الله– في ليلة الخميس في الثالث عشر من شهر رجب لعام سبعمائة وواحد وخمسين هجرية (٧٥١هـ) وقت آذان العشاء، وصُلى عليه من الغد بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ثم بجامع جراح، ودُفن بمقبرة الباب الصغير، وقد بلغ من العمر ستين سنه[١٧].

ثانياً: التعريف بعلم اللغة النصي:–

تعددت تعريفات علماء اللغة النصيين لمفهوم علم اللغة النصي، وكان لهذا المصطلح مسميات كثيرة؛ منها: نحو النص، وعلم النص، ولسانيات النص، والنصانية ، والنصية[١٨].

وجميع هذه المصطلحات السابقة لا تخرج عن الأشكال اللغوية التي تحكم بناء كل أشكال النص فبدأ بعض العلماء بتعريف النص أولاً، كما فعل " دي بوجراند " عندما قال بأنه: تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال ويضاف إلى ذلك ضرورة صدور النص عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية، وليس من الضروري أن يتكون النص من الجمل وحدها، فقد يتكون من جمل أو كلمات مفردة أو أي مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال، ومن ناحية أخرى فإنه يوجد بين النصوص صلات متبادلة تؤهلها لأن تكون خطابا "[١٩].

فهو علم يبحث في بنية النص وصياغته مشيراً في ذلك إلى العلاقات الاجتماعية والنفسية والاتصالية، فالنص هو هدف البحث في علم اللغة النصي ومهمته[٢٠].

فعلم اللغة النصي واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفاً وهو: " الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي كما ذكر د.أحمد عفيفي [٢١] ؛ وبالتالي أشترك معها في نفس الهدف علم النص، نظرية النص، نحو النص[٢٢].

فمثلاً نحو النص (text grammer): " هو ذاك الفرع من قواعد النص الذي يصف وسائل التعبير المسئولة عن عملية التشكيل، وخلافاً لدلالة النص وبراجماتية النص يقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصياً والعلاقات بينها"[٢٣].

ويعرفه د. سعد مصلوح: أنه نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدراتها التشخيصية على مستوى ما وراء الجملة التي تشمل مستويات ذات طابع تدريجي يبدأ من علاقات ما بين الجملة ثم الفقرة ثم النص أو الخطاب[٢٤].

ويُعرف علم اللغة النصي بأنه ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي وحوار المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء "[٢٥].

ويُعرف أيضاً بأنه: " هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها، مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه [٢٦]".

وأساس هذا العلم عدم التمسك بدراسة الجملة السطحية كما كانت عند – القدماء– منعزلة عن غيرها، بل يدرسها في ارتباطها مع غيرها ، لتكوين نص متكامل له غاياته وأهدافه[٢٧].

السبك في كتاب بدائع الفوائد

ويشمل مبحثين هما:

- المبحث الأول: تعريف السبك وأهميته وعناصره.
- المبحث الثاني: الإحالة ومفهومها مع التطبيق عليها من كتاب بدائع الفوائد

المبحث الأول تعريف السبك وأهميته وعناصره.

تعريف السبك لغةً: هو جمع الأجزاء العديدة وتأليفها حتى تصبح شيئاً متماسكاً؛ فقد جاء في لسان العرب: " سَبَك الذهب والفضة ونحوه من الذائب يسبُكُه ويسبِكه سَبْكاً؛ وسبَّكه: ذوَّبه وأفرغه في قالب.. والسبْك: تسْبيك السبيكة من الذهب أو الفضة يُذابُ ويُفرغُ في مِسْبَكَةٍ من حديد "[٢٨].

وفي القاموس المحيط: " سَبَكَه يَسْبِكُه: أذابه وأفرغه "[٢٩].

وفي المعجم الوجيز: " سَبَك المعدن يسْبِكُه سبكاً أذابه وخلصه من الخبث ثُم أفرغه في قالب "[٣٠]

أمَّا السبك اصطلاحاً: يقصد به ذلك التماسك الشديد والترابط اللفظي بين عناصر النص بشكل لُغوي بحيث يتكون منه النص[٣١].

وعند حدوث حدث تواصلي[٣٢] communicative occurrence يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير نصية هي: –

١. السبك cohesion.
٢. الحبك coherence.
٣. القصد intentionality.
٤. القبول acceptability.
٥. الإعلام informatively.
٦. المقامية situationality.
٧. التناص intertextuality.

فالسبك هو أول معايير النصية ويختص بالوسائل التي يتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها وتواليها الزمني داخل أحداث النص ولكنها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته التي تؤدي إلى تواصله وتتابعه[٣٣].

السبك اصطلاحاً:

السبك أو الربط أو التضام هو: " معيار يعتني بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي "[٣٤].

وعرفه د.صبحي الفقي بأنه: العلامات والأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة الخارجية المحيطة من جهة أخرى[٣٥].

ونجد الدكتور تمام حسان يؤكد المعنى السابق لتعريف السبك فهو يرى أن السبك يختص بالطريقة التي تكون بها العناصر اللغوية التي يتكون ويتألف منها النص، ذات معانٍ يتصل بعضها ببعض على أساس من القواعد النحوية بطرق أربع هذه الطرق هي: الإحالة والحذف والأدوات الرابطة والنظم المعجمية[٣٦].

فالسبك في علم اللغة الحديث يعني الربط اللفظي من خلال التشكيل النحوي للجمل وما يتعلق بالإحالة والحذف والربط وغيره وهو ما يتضمن منشيء النص من كونه صورة ما من صور اللغة قصداً أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام لأن النص ليس بنية عشوائية إنما عمل مقصود منسجم يهدف إلى غاية نطمح ونريد بلوغها حتى نتمكن من معرفة وفهم مقصد النص وغايته . ووسائل التضام تشتمل على تراكيب وجمل نحوية تشمل الربط والتكرار والحذف والاستبدال والألفاظ الكنائية والمصاحبة المعجمية وغيرها.

وتكمن أهمية السبك في أنه: –

١. معيار من معايير النصية السبعة التي لا بد من توافرها وتواجدها جميعاً في النص.
٢. أنه يعتني بالعلاقات بين أجزاء الجملة والعلاقات بين جمل النص والنصوص المكونة للكتاب ومن ثم يحيط السبك التماسك بالنص كاملاً على صعيد المستويين الداخلي والخارجي[٣٧].
٣. تتحقق وسائل السبك بمصطلح عام هو الاعتماد النحوي grammatical dependency ويتحقق هذا الاعتماد في شبكة هرمية متداخلة ولها أنواع منها: – (الاعتماد في الجملة – الاعتماد فيما بين الجمل – الاعتماد فيما بين الفقرات أو الجمل – الاعتماد في جملة النص)[٣٨].
٤. السبك من أهم وسائل التماسك النصي التي تهدف إلى جعل الكلام مفيداً يؤدي إلى وضوح العلاقة في الجملة وبين الجمل وبعضها وبين الجمل والفقرات السابقة أو التالية لها، ومن ثم عدم اللبس في أداء المقصود، وعدم الخلط بين عناصر ومكونات الجملة[٣٩].
٥. إذا خلا منه نص فإن هذا النص يصبح جسداً بلا روح ونصاً بلا هوية أو معنى كأنه ربط بين الجمل المتباعدة زمنياً وفكرياً .
٦. يسمح للكاتب أو المؤلف أن يعتمد على الاقتصاد والاختصار والإيجاز من خلال تحقيق عنصر الحذف.
٧. السبك داخل النص يؤدي إلى الاستمرارية والارتباط داخل النص الواحد مما يؤدي إلى انسجام الربط وتحقيقه وذلك لمساعدة القارئ على متابعة خيوط الترابط عبر النص التي تمكنه من ملء الفجوات والفراغات والأجزاء المفقودة داخل النص ؛ وذلك لتحقيق هدف النص وغايته وتوازنه مما يؤدي إلى اكتمال مفهوم ومعنى النص لدى القارئ أو المتلقي .

٨. يؤدي إلى فهم النص فهماً صحيحاً من خلال اللفظة المفردة لأن المفردات لها معانٍ عديدة ولا يتبين المعنى المراد تحقيقه إلا من خلال وسائل تؤدي إلى سبكه وإبراز غايته، وهذه الوسائل هي التي تؤدي إلى انسجام النص وترابطه[٤٠].

عناصر السبك:

يقسم علماء اللغة النصيون عناصر السبك النصي إلى نوعين[٤١] هما: –

- الأول: عناصر السبك النحوي: (الإحالة – الاستبدال – الحذف – الربط).
- الثاني: عناصر السبك المعجمي ويشمل: (التكرار – المصاحبة اللُغوية – التضام).

فالسبك أو الترابط يتناول المستوى التركيبي وهو ما يتصل بالنص في ذاته text – centered.

فالنص عند د. بشرى حمدي، د. وسن عبد الغني يقع بين مظهرين مهمين: أحدهما: انسجام النص، والآخر: اتساقه، فالاتساق يعني الكيفية التي يتماسك بها النص بالتركيز على الخصائص والسمات التي تميزه بوصفه نصاً ولما كان قوام الربط أي الاتساق معتمداً على الروابط فلا بد من الإشارة إلى تعدد هذه الروابط وكيفية تنوعه[٤٢].

وقد تحققت عناصر السبك في كتاب بدائع الفوائد وظهرت أهميتها على الجانب النحوي والمعجمي فيما يؤدي إلى التماسك النصي بين الجمل والفقرات والألفاظ والعبارات وأحياناً بين النص ونص آخر سابق أو تالي له .

وسوف نتعرض – إن شاء الله – لهذه العناصر بشيء من التفصيل .

المبحث الثاني الإحالة ومفهومها مع التطبيق عليها من كتاب بدائع الفوائد

الإحالة لُغوياً: قال ابن منظور: " المُحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه وحوَّله جعله محالاً، وأحال أتى بمُحال ورجل مِحوالٌ : كثير مُحال الكلام "[٤٣].

في المصباح المنير: " أحلت الشيء إحالة نقلته أيضاً وأحلت عليه بالسوط والرمح سددته إليه.. وأحلت الأمر على زيد أي جعلته مقصوراً عليه مطلوباً به " [٤٤].

أما الإحالة اصطلاحا: قال دي بوجراند: العلاقة بين العبارات من جهة والأشياء والمواقف في العالم الخارجي للنص الذي تشير إليه العبارات من جهة أخرى[٤٥].

الإحالة عملية تداولية لأنها ترتبط بموقف تواصلي تعاوني استمراري بين متكلم ومخاطب في بنية تواصلية معينة أي أنها ترتبط لعبارة أدق بمخزون المخاطب كما يتصوره المتكلم أثناء التخاطب أو التحدث والكلام[٤٦].

ويرى براون أن الإحالة: ليست شيئاً يقوم به تعبير ما أو قول ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل إليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً يقصد به معنىً معيناً [٤٧].

يقول جون لوينز: إنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات فالأسماء تحيل وتشير إلى المسميات وهي علاقة دلالية تفسيرية تخضع لقيد ومطلب أساسي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المُحيل والعنصر المحال إليه[٤٨].

وقد استعمل الباحثان " هاليدي ورقية حسن " هذا المصطلح استعمالاً خاصاً حينما قالا أن العناصر المُحيلة لا تكتفي بنفسها من حيث التفسير والدلالة، ولا بد من العودة إلى ما تشير إليها و ما يقصد به من وراء هذا النص من أجل تفسيرها أو تأويلها[٤٩].

ويطلق تسمية الإحالة على ضرب من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النص تقوم على مبدأ التماثل والتجانس بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[٥٠].

ويذكر د.محمد خطابي أن: الإحالات عبارة عن أدوات لسانية ذات مستوى دلالي داخل النص وخارجه وعلاقة من العلاقات الموجودة في النص تقع بين العبارات والأدوات والمواقف المكونة للنص، فاللفظة لا تقوم مستقلة بذاتها عن سائر المكونات المورفيمية المشكِّلة للنص وإنَّما تتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى يمكن أن نقدرها داخل السياق النصي[٥١].

وتنقسم الإحالة إلى نوعين[٥٢] هما:

الأول: إحالة داخل النص أو داخل اللغة وتسمى نصية (textual) وتنقسم هي الأخرى إلى نوعين[٥٣]: إحالة قبلية، إحالة بعدية.

فالإحالة النصية أو الداخلية إحالة تختص بعناصر جزئية أو كلية تعود إلى العناصر اللُغوية الواردة في الملفوظ سابقةٍ أو لاحقةٍ تتعلق بإحالة عنصر معجمي إلى مقطع أو جزء من الملفوظ أو النص

أ– الإحالة إلى سابق (الإحالة القبلية):– " هي إحالة بالعودة حيث تعود إلى مفسر أو عائد سبق التلفظ به "[٥٤].

ومن أمثلة الإحالة القبلية في كتاب بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية:–

ما قاله ابن قيم نقلاً عن شيخه ابن تيمية في تفسير تعالى: **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** (الإسراء: ٣٦).

" قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية[٥٥]، وفصل الخطاب: أن إدراك السمع أعم وأشمل؛ وإدراك البصر أتم وأكمل فهذا له التمام والكمال وذاك له العموم والشمول فقد ترجح كل منهما على الآخر بما أختص به " تم كلامه "[٥٦].

فجاءت الإحالة القبلية هنا بذكر نص الآية القرآنية كدليل لشرح قول ابن تيمية عليها؛ وقد أكد أيضاً على أهمية السمع وأنه أشمل من ادراك البصر باستخدام اسمي الإشارة هذا وذاك اللتان تؤكدان الإحالة بالعودة إلى مفسر سابق .

وذكر ابن قيم٥٧ أيضاً قول النبي (صلى الله عليه وسلم): " قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن تكن في هذه الأمة أحد؛ فعُمر "٥٨.

حيث تمت إحالة القبلية إلى أن الفاروق عُمر كان مُحَدَّثاً، فاسم الإشارة (هذه) تحيل أو تشير إلى نص سابق وهو أنه كان يوجد في الأمم قبلكم مُحَدَّثون مما أدى إلى عدم التكرار داخل النصوص ومن ثم تماسكه.

ومنه ما جاء في قوله تعالى : " وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون " {يس:٤١-٤٢} وأصحُّ القولين أن المثلَ المخلوقَ هنا هو السفن، وقد أخبر أنها مخلوقة له ، وهي إنما صارت سفناً بأعمال العباد، وأَبْعَدَ من قال : إن المثلَ ههنا هو سفن البرِّ، وهي الإبل لوجهين : أحدُهما أنها لا تُسَمَّى مثلاً للسفن ؛ لا لغَةً ولا حقيقةً، فإن المثلين: ما سدَّ أحدُهما مسدَّ الآخر، وحقيقة المماثلة : أن يكون فُلْك وفُلْك لا بين جَمَل وفُلْك ؛ والثاني: أنَّ قوله تعالى : " وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم " {يس : ٤٣} عَقِب ذلك دليلٌ على أن المراد الفلك التي إذا ركبوها قَدَرنا على إغراقهم، فذكَّرهم بِنَعمِه عليهم من وجهين، أحدهما : ركوبهم إياها، والثاني : أن يُسَلِّمهم عند ركوبهم من الغرق "٥٩ .

فجاءت الإحالة القبلية في كلمتي السفن، والإبل تحيل إلى ما بعدها من تفسير ودلالة للآية السابقة، وهذا لتأكيد ما اختصت به السفن وأن المقصود هو سفن البحر بدليل قوله تعالى " وإن نشأ نغرقهم "، ولتأكيد أن الإبل هي سفن البرِّ على سبيل المجاز، وأنها ليست المقصودة من الآية الكريمة وإنما جاءت في تفسير شرح ابن قيم لتوضيح الفرق وقطع الشك باليقين على من يريد تأويلها على هذا الشكل المقصود بأنها سفن البرِّ .

ب – الإحالة البعدية: وهي تعود إلى عنصر مذكور بعدها أي الإحالة إلى لاحق أو متأخر؛ فهذه تثير القارئ تشوقاً لتوقع معلومة جديدة٦٠.

ومن أمثلة الإحالة البعدية في كتاب بدائع الفوائد:–

ما جاء في تفسير قوله تعالى : " والله جعل من بيوتكم سكناً وجعل لكمُ من جلود الأنعام بيوتاً " {النحل : ٨٠} والبيوت التي من جلود الأنعام هي الخيام وإنما صارت بيوتاً بعملهم"٦١ .

فجاءت الإحالة البعدية (الخيام) تفسيراً للجملة السابقة لها بأنها البيوت التي من جلود الأنعام، وهذا يؤدي إلى إثارة القاريء بالرجوع مرة أخرى لمعرفة معنى الخيام وأنه بذلك أضاف معلومة جديدة ومفهوماً جديداً لما يدور برأسه عن معنى الخيام .

ومنه " تقول: فعلت ذلك خوفاً وقعدت عن الحرب جُبناً، وأمسك عن الإنفاق شُحاً؛ فهذه أسباب حاملة على الفعل والترك لأنها هي الغايات المقصودة منه، تقول: ضربته تأديباً وزرته إكراماً وحبسته صيانة؛ فهذه غايات مطلوبة من الفعل " [٦٢].

فالإحالة هنا إحالة داخلية بعدية؛ حيث أحيل باسم الإشارة (هذه) إحالة بعدية إلى كلمة (غايات) لأنها مطلوبة من الفعل ومقصودة منه وتعود على ما ذُكر قبلها من كلام يهدف إليها.

مثال آخر من كتاب ابن قيم: قول المسلم " سلام عليكم " هل هو إنشاء أم خبر ؟ فجوابه أن هذا ونحوه من ألفاظ الدعاء متضمن الإنشاء والخبر فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الإنشائية فنقول: الكلام له نسبتان؛ نسبة إلى المتكلِّم به نفسه، ونسبة إلى المتكلَّم فيه إما طلباً وإما خبراً " [٦٣].

فجاءت الإحالة البعدية باسم الإشارة (هذا) ونحوه متضمن الإنشاء والإخبار؛ فحال بالرد على قول المسلم (سلام عليكم) بعده بأنها من ألفاظ الدعاء تحتمل الإنشاء والخبر ودلَّ على ذلك ابن قيم شرحاً وتفصيلاً مما جعل للنص بعداً واستقراراً وتحقيقاً للتماسك.

الثاني: إحالة خارج النص أو خارج اللغة وتسمى (مقاميةExopheric (situational: – وفيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص أو غير مذكور في النص ذاته يدركه منتج النص أو متلقي هذا النص، وتنقسم هذه الإحالة أيضاً إلى إحالة على سابق وتسمى إحالة قبلية إو إحالة على اللاحق وتسمى بعدية .

وذكر دي بوجراند في كتابه " النص والخطاب والإجراء " أن: الإحالة لغير المذكور ويطلق عليه " الإضمار لمرجع متصيد " تعود إلى أمور تستنبطمن المواقف لا من عبارات تشترك فيها الإحالة في النص نفسه أو ذاته.. وتكمن الإحالة المقامية في ضميري المتكلم والمخاطب، لأنهما بطبعهما يحيلان إلى شيء غير مذكور سابقاً وتعتمد الإحالة في هذا الأساس على سياق الموقف[٦٤].

ومن أمثلة الإحالة المقامية في كتاب بدائع الفوائد: –

قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " اللَّهم هؤلاء أهل بيتي "[٦٥].

فأحالت ياء المتكلم هنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إحالة مقامية، وأحالت كلمة (بيتي) إحالة مقامية أيضاً حيث يقصد بـ (هؤلاء) من ذكرهم خارج النص وهم علي وفاطمة والحسن والحسين –رضي الله عنهم أجمعين –فإن هذا لا ينفي أيضاً دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت؛ ولكن هؤلاء أحق من دخل في لفظ أهل بيته[٦٦].

مثال آخر للإحالة خارج النص: ما جاء في حديث الزُّهري في الصحيحين عن علي بن حسين عن صفية بنت حُيَيّ[٦٧]: " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمتُ فانقلبت "[٦٨].

فمن عناصر الإحالة الموجودة هنا الضمير المتصل (الهاء) في (فأتيته)، (فحدثته) يحيلان إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأيضاً (التاء) في (فحدثته – فأتيته – قمتُ – فانقلبتُ) تاء المتكلم تعود إلى صفية بنت حُيَيّ، فهي إحالة تربط النص بسياق الموقف فتجعل تماسكاً وتفاعلاً بين النص ومتلقيه.

وسائل الإحالة (عناصر الإحالة):–

هي ألفاظ وعناصر تحدد المحال إليه داخل النص أو خارجه[٦٩].

وهي عناصر لُغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تفسيرها وتوضيحها ومن ثم ينجلي المعنى وينكشف وتسمى تلك العناصر عناصر مُحيلة؛ وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، والأسماء الموصولة[٧٠].

وذكر ديبوجراند: أنها قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بذاتها بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب أو النص ؛ فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل والتطابق بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[٧١].

أ– الإحالة بالضمائر:

تنقسم الضمائر بحسب الموقع الإعرابي إلى قسمين:– ضمائر وجودية شخصية تختص بمحل الرفع وهي: أنا، وأنت، وهو، وهي، ونحن، وهما، وأنتما، وأنتِ وغيرها... وما يختص بمحل النصب وهي ضمائر الملكية مثل: الياء، والهاء، والكاف التي تقع في محل النصب[٧٢].

وذكر د. محمد عبدالله جبر عن الإحالة بالضمير أنه لابد من توافر عائد يتعلق به قائلاً : " ولابد للضمير من عائد يتعلق به ويعود عليه؛ وبذلك يجد مستقبل النص نفسه يتحرك داخل النص للأمام والخلف يربط الضمير بما يعود عليه ومن ثم يتحقق الربط بين عناصره ووحداته "[٧٣].

وأشارت د/ إلهام أبو غزالة إلى ذلك أيضاً قائلةً أن : إنجاز النصوص دون إضمار مضيعة للوقت والجهد، ومن ناحية أخرى يؤدي الإسراف في الإضمار إلى تبديد وتضييع ما توفر من وقت وجهد لما يقتضيه من تكثيف في البحث وحل المشكلات [٧٤].

وتتنوع الضمائر في كتاب بدائع الفوائد وتتعدد صورها وأشكالها في أكثر من موضع منها مثلاً: " في قصة خولة بنت ثعلبة كانت تحت عُبادة بن الصامت، فقال لها: " أنتِ عليَّ كظهر أمي " فأتت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسألته عن ذلك ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " حَرُمتِ عليه "، فقالت: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب، ما ذكر الطلاق، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال: " حَرُمتِ عليه " فقالت أشكو إلى الله فاقتي وَوَحْدَتي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " ما أراكِ إلاَّ قد حَرُمتِ عليه ولم أُؤمر في شأنك بشيء " فجعلت تراجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإذا قال لها: " حَرُمتِ عليه "، هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، وإن لي صِبْية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، وكان هذا أول ظهار في الإسلام فنزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما قُضي الوحي قال: " ادْعي زوجك " فتلا عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير { المجادلة:١} الآيات[٧٥].

فمن عناصر الإحالة الموجودة في هذا النص الإحالة بالضمير المستتر (هو) في (فقال لها) تعود إلى عبادة بن الصامت فهي إحالة قبلية؛ والإحالة بالضمير الظاهر (الهاء) في (فسألته) الذي يحيل إحالة قبلية إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والضمير أيضاً في (انزل) يعود إلى الله – عز وجل–، والضمير المستتر في (ما ذكر) يعود إلى زوجها عُبادة بن الصامت، والضمير المستتر أنت في (ما أراكِ) ،(هي)في تراجع يعود إلى خولة بنت ثعلبة، والضمير المستتر (أنا) في (لم أُؤمر) يعود إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والضمير في ضممتهم، ضاعوا، وجاعوا يعود إلى الصبية، والهاء في (إنه أبو ولدي) تعود إلى زوجها عُبادة أيضاً، والياء في (إلي، لي صبية، إني) والضمير المستتر (أنا) في (أشكو) (والياء) في (فاقتي وَوَحْدَتي) تعود إلى خولة بنت ثعلبة أيضاً.

فهذا يدل على أن الظهار كان إنشاء للتحريم الحاصل بالطلاق في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بالكفارة من خلال تفسير سورة المجادلة، ولا يمكن تفسير هذه الضمائر إلا بالرجوع إلى ما تحيل

إليه في تأويل هذا النص ومن ثم ترتبط الجملة التالية بالتي تسبقها مما يؤدي إلى التماسك في النص.

ب– الإحالة بأسماء الإشارة:–

هي وسيلة من وسائل الاتساق، تقوم بالربط القبلي والبعدي ؛ فهي تحيل إحالة قبلية وبعدية[٧٦].

واسم الإشارة demonstrative noun اسم غير متصرف يدل على شخص أو حيوان أو شيء أو مكان يساعد على تعيين المدلول تعييناً مقروناً بإشارة حسية معنوية[٧٧].

ويقسم اسم الإشارة إلى ثلاثة أقسام: القريب، والمتوسط، والبعيد؛ ويقول ابن عقيل في ذلك: أن اسم الإشارة له ثلاث مراتب: قربى، ووسطى، وبُعدى، فيشار إلى من في القربى بما ليس فيه كاف ولام نحو: ذا، ذي؛ وإلى من في الوسطى بما فيه الكاف وحدها نحو: ذاك؛ وإلى من في البعدى بما فيه كاف ولام نحو: ذلك[٧٨].

ويقول د. محمد خطابي عن اسم الإشارة (ذا) : ويتميز اسم الإشارة المفرد (ذا) بالإحالة الموسعة أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية أو حتى خطاب سابق بأكمله[٧٩].

ويعدها سيبويه من الأسماء المبهمة عندما قال: " والأسماء المبهمة: هذا هذان، هذه، هاتان، هؤلاء، ذلك، ذانك، تلك، تيك، وأولئك.."[٨٠].

فيعد اسم الإشارة عنصر من عناصر الإحالة التي تساعد على تماسك النص وترابطه وهو عنصر مبهم يحتاج إلى ما يحيل إليه سواء كان متقدماً أو متأخراً[٨١]. ويعلل د. محمد خطابي مجيء اسم الإشارة بالنص قائلاً : وإنما جيء باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب فالإحالة به تكون لعلة مثلاً إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علة أو غيرها[٨٢].

ومن أمثلة الإحالة باسم الإشارة كما جاءت في كتاب بدائع الفوائد: – " قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام" وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ[المائدة: ١١٦] فهذا شرط دخل على ماضي اللفظ، وهو ماضي المعنى قطعاً؛ لأن المسيح إما أن يكون صدر هذا الكلام منه بعد رفعه إلى السماء أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة.. وغلط على الله من قال: إن هذا القول وقع منه في الدنيا قبل رفعه "[٨٣].

والإحالة هنا باسم الإشارة في (فهذا شرط، هذا الكلام، هذا القول) يحيل إحالة قبلية إلى مرجعيتها إلى الآية الكريمة السابقة، وهذا يؤدي إلى اختصار النص وتماسكه وترابطه.

وهناك مثال آخر لاسم الإشارة عند ابن قيم: قوله عن الحُب: " وأمَّا مجيئه بالضم دون الفتح فلسرٍّ في ذلك؛ وهو قوة هذا المعنى وتمكنُّه من نفس المُحِبِّ وقهره وإذلاله إياه حتى إنه ليذل الشجاع الذي لا يذل لأحد فينقهر لمحبوبه ويستأسر له.. فلما كان بهذه المثابة أَعْطوه أقوى الحركات وهي الضمة "[٨٤].

ففي النص السابق نلحظ العنصر الإحالي (ذلك) يحيل إلى متقدم وهو حركة الضمة في كلمة (الحُب)، والإحالة باسم الإشارة (هذه) وما يحيل إلية من متأخر في كلمة (المثابة) وإحالة اسم الإشارة (هذا) إلى متأخر بعده لكلمة (المعنى) أي قوة معنى كلمة الحُب إذا ألحق حرف الحاء بالضم ليدل بذلك على أهمية ربط السابق باللاحق، ويؤكد على الإيجاز والاختصار في بنية النص.

وهناك شاهد آخر لاستخدام اسم الإشارة في كتاب بدائع الفوائد: قول ابن قيم: فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شرِّ الظُّلْمة ومن شرِّ ما يحدث فيها ونَزَّل هذا المعنى على الواقع تشهد به أن القرآن بل هاتان السورتان من أعظم أعلام النبوة وبراهين صدق رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)[٨٥].

فاسم الإشارة (هذا وهاتان) يحيلان إلى ما بعدهما مباشرة لتأكيد فضل سورتي الاستعاذة وأنها من أعلام النبوة ونجد ابن قيم يختصر الكلام عنهما بالإشارة إليهم بأدوات الإشارة (هذا وهاتان) مما يؤدي إلى تماسك النص وترابط بنيته.

جـ– الإحالة أدوات المقارنة: Comparative References

ذكر د. أحمد عفيفي أن: أدوات المقارنة هي كل الألفاظ التي تؤدي إلى التطابق أو التشابه أو الإختلاف أو المقارنة أو الإضافة إلى السابق[٨٦].

وتنقسم أدوات المقارنة عند د. محمد خطابي إلى عامة وخاصة[٨٧].

العامة: تدل على التطابق ويتم فيها استعمال كلمات مثل: نفس، مثل، عين، مطابق، نظير؛ والتشابه مثل: شبيه، ومشابه؛ والاختلاف مثل: آخر، غير، مختلف.

الخاصة: تنقسم إلى كم مثل: أكثر، أكبر، أقل؛ وكيف مثل: أحسن، أجمل، جميل، أجمل من.

ومن أمثلة الإحالة بأدوات المقارنة ما نجده في قول ابن قيم: " الله تعالى أنزل القرآن للغة العرب وعلى منوالهم فكل ما كان في عادة العرب حسناً أنزل القرآن على ذلك الوجه أو قبيحاً لم ينزل في القرآن[٨٨].

فنجد هنا إحالة بالمقارنة وهي إحالة خاصة كيفية، حيث استخدم كلمة (حسناً) لتدل على إحالة قبلية تشير إلى ما يوافق عادة العرب وكلامهم؛ وكلمة (قبيحاً) تدل على إحالة بعدية يفسرها جملة (لم ينزل في القرآن).

مثال آخر لاستخدام أدوات المقارنة في كتاب بدائع الفوائد:-

" وأسرار القرآن أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر "[٨٩].

الإحالة باسم التفضيل أكثر وأعظم يحيل إحالة قبلية إلى (أسرار القرآن).

مثال آخر لاستخدام أدوات المقارنة عند ابن قيم:-

جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث الأسود بن سريع: " أربعة كُلُّهُم يُدْلى على الله بحُجَّتِهِ يوم القيامة، فذكر منهم رجل أصم يقول: يارب لقد جاء الإسلام وأنا لا أسمع شيئاً "[٩٠].

قال ابن قيم في شرح الحديث: " نقص فاقد السمع كنقص فاقد البصر.. أن هذا النعيم وهذا العطاء إنما نالوه بواسطة السمع؛ فكان السمع كالوسيلة لهذا المطلوب الأعظم ففضيلته عليه كفضيلة الغايات على وسائلها "[٩١].

فجاءت كلمة كُلُّهُم في الحديث الشريف لتدل على التطابق بصفة عامة لفاقدي السمع وغيرهم فتخرج بذلك من حيز الخصوصية لحيز العموم.

وهنا إحالة نصية باستخدام المقارنة عن طريق المطابقة بأن نقص فاقد السمع كنقص فاقد البصر حيث يكون التشبيه بالحالتين ثابتاً فتكون الحجة لصاحب السمع والبصر معاً، واستخدام أسلوب التشبيه أيضاً السمع كالوسيلة لهذا المطلوب الأعظم في نعمة لهم لتكون حجة لهم يوم القيامة وشبهها أيضاً لفضيلة الغايات على وسائلها.

وأشار د. محمد حماسة إلى ذلك حيث قال: ويسمى التشابه في العربية بالانعكاس، ويتم بعناصر مثل: (نفس، عين، جميع، كل) والنفس والعين هما لرفع المجاز عن الذات، و (كل وجميع) لرفع احتمال إرادة الخصوص بلفظ العموم[٩٢].

ويسهم التشبيه في تحديد جمال الكلام لأنه على قدر حسن المجاز يزيد المعنى وضوحاً وعلى قدر بعده ينتقص المعنى ويفتقد الوضوح[٩٣].

فتكون المقارنة هنا بين شيئين مشتركين في صفة أو أكثر ولابد من المقارنة لإظهار هذه الصفات وتسهم أدوات المقارنة كأحد وسائل التفكير وربط الأجزاء ببعضها مما يساعد على تماسك النص.

د – الإحالة بالاسم الموصول: Conjunctive noun

هو اسم غير متصرف يدل على معين، ولا يتحقق معناه إلا بجملة تذكر بعده تسمى صلة الموصول[٩٤].

وتشترك الأسماء الموصولة مع بقية أدوات الإتساق الإحالية في عملية التعويض فهي: ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة؛ وكأنها جاءت تعويضاً عما تحيل إليه.. ومرتبطة بما بعدها من صلة الموصول؛ حيث أن تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي (السامع) قبل ذكر اسم الموصول؛ كما لو قلت جاء الذي كان هنا بالأمس، فإنه ينبغي أن يكون المتلقي – حسب اعتقاد المتكلم – على علم بمن كان مع المتكلم بالأمس.[٩٥]

وهنا نجد الاسم الموصول ساعد على تقوية المعنى وتأكيداً أنه مكتوب في التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى في كتبهم وهنا إحالة قبلية إلى الرسول النبي الأمي وأكدت على هذا د. نادية رمضان [٩٨] حينما قالت: ربما يتوافر للموصول إحالتان قبلية وبعدية في بنية النص وذكرت قول الله تعالى السابق ذكره وأشارت إلى الاسم الموصول (الذي) الذي يحيل إحالة قبلية إلى الرسول الأمي، كما يحيل إحالة بعدية إلى العائد في جملة الصلة (يجدونه) وبذلك تحقق الربط في النص.

ومن أمثلة الإحالة باسم الموصول في كتاب بدائع الفوائد:–

قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " ليسَ المِسكينُ بهذا الطوافِ الذِي ترُدُّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يسألُ الناس شيئاً ولا يُفطنُ له فَيُتصدَّق عليه "[٩٩].

فالإحالة بالاسم الموصول (الذي) يحيل إحالة قبلية مرجعيتها للمسكين، ويوضح ذلك الجملة التفسيرية التأويلية جملة صلة الموصول (لا يسألُ الناس شيئاً ولا يُفطنُ له فَيُتصدَّق عليه) فهذا يعمل على إثارة ذهن المتلقي ويجعل من النص جسداً متماسكاً مترابطاً.

وأيضاً قول النبي –صلى الله عليه وسلم – " ليس الشديد بالصُّرعة، لكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[١٠٠].

فنجد هنا أيضاً الإحالة بالاسم الموصول (الذي) فهو يحيل إحالة قبلية لمن لديه صفة الشدة وزاد على تقوية معناها تفسيره (صلى الله عليه وسلم) بالذي يملك نفسه عند الغضب، وهذا ما يؤكد كلام د. نادية رمضان بأنه ربما يتوافر للموصول إحالتان قبليه وبعدية في بنية النص.

ومثال آخر: استدلال ابن قيم [١٠١] أن الله تعالى يخرج عباده من الظلمات إلى النور ويدع الكفار في ظلمات كفرهم .

ففي الآية الكريمة أحيلت (الذين) الأولى إحالة بعدية لما بعدها وهم المؤمنون لأن الإيمان كلُّه نور ومستقرُّه في القلب المنير المستنير، و(الذين) الثانية إحالة بعدية أيضاً للكافرين لأن الكفر كلُّه ظُلمة ومستقرة في القلوب المظلمة، وهنا نلاحظ وجود تطابق بين المحيل والمحال إليه من حيث اللفظ والمعنى، إفراداً وتثنيةً وجمعاً وتأنيثاً وتذكيراً، وكيف اختلفت جملة صلة الموصول بحسب اللفظ والمعنى ؛ مما يؤدي إلى وضوح الإحالة ويجعل المتلقي يتعرف على المحال إليه.

وقد أشار د. الأزهر الزناد إلى أنه برغم تعدد أنواع الإحالة إلا أنها تتفق في العنصر الإحالي قائلاً : ومهما تتعدد أنواع الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الإتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع[١٠٣] .

الخاتمة

كانت هذه محاولة لدراسة كتاب (بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية) دراسة نصية، أردت التحقق فيها من معياري السبك والحبك في كتابه وحاولت أن أقدم وصفاً لغوياً تحليلياً لبعض النتائج العامة التي توصلت الدراسة إليها، ومن خلال الدراسة السابقة خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١ – دراسة نحو النص علم جديد جرت وراءه أقلام الكتاب لإثبات أنه علم حديث مكمل لنحو الجملة وأنه يستحق الدراسة على المستويين النظري والتطبيقي، لذا فتعد لسانيات النص فرعاً معرفياً جديد من اللسانيات النصية، ومازال في طريقه للنمو والتطور، لأنه لم تكتمل مباحثه وأسسه المنهجية بعد، ولم يتفق النصيون على تقسيم أساسي للاتساق والانسجام، فهي تختلف من باحث لآخر؛ ولكن بينهم اتفاق حول أهم هذه الأدوات.

٢ – تحقق الترابط النصي في شرح كتاب بدائع الفوائد عن طريق أدوات نحوية ونصية أظهرها علم اللغة النصي كالعطف والحذف والاستبدال والإحالة.. وغيرها مما أدى إلى التنوع الدلالي وتحقيق التماسك النصي مما أدى إلى فهم النص وتأويله.

٣- أسهمت الإحالة في ترابط الآيات القرآنية بشروحها والأحايث النبوية وتماسكها من خلال التطبيق على أنواعها المختلفة من الإحالة بالضمير أو الإشارة أو الإحالة الموصولية.

المصادر والمراجع

١. انظر: د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ٦٥ – ٦٦.
٢. كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م، ٩٨٨/٢.
٣. د. محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ١٢.
٤. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، ط١، ١٩٨٩م، ٣٨.
٥. انظر في تعريفه:
٦. الذهبي، ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق / أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٥٥/٤.
٧. ابن رجب الحنبلي، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، السعودية، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م، ١٧٠/٥، ١٧١.
٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق / محمود الأرناؤوط، ١٩٩٢م، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ٢٨٧/٨.
٩. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدرآباد، دار المعارف العثمانية، ١٩٧٢، ٣٢٦.
١٠. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥/ ١٣٧.
١١. أنشأها محيي الدين بن الحافظ الجوزي المتوفي (٦٥٦هـ)، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ط٢، بيروت، ٩٥/١٤.
١٢. ابن قيم الجوزية، حياته آثاره موارده، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٣.
١٣. انظر: ابن الداودي، طبقات المفسرين، تحقيق / علي محمد عمر، ط١، ٢/ ٩١، انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ١٣٧/٥.

١٤. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق / سيد عمران، علي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ٩، انظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠٤/١١.

١٥. انظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٣م، ٣/ ١٦٤.

١٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤ /١١٠.

١٧. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ١١٥/٣.

١٨. بكر أبو زيد، ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره موارده، ٣٨.

١٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٤/١٤.

٢٠. ياس خضير الحداد، ابن قيم الجوزية، منهجه ومروياته التاريخية في السيرة النبوية، ط١، ٢٠٠١م، ٢٢.

٢١. انظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٦ /١٧٠.

٢٢. انظر: د. أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٧م، ٣١؛ وانظر: برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة / محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م، ١٨٣.

٢٣. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة / د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ٩٨ــ ١٠١.

٢٤. فولفجانج هانيه، فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ١١ .

٢٥. انظر: د. أحمد عفيفي، نحو النص، ٣١.

٢٦. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ١٨٣.

٢٧. روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، مدخل إلى علم النص، تحقيق / إلهام أبوغزالة، علي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م، ٦٠.

٢٨. د.سعد مصلوح، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، الكتاب التذكاري لذكرى عبد السلام هارون، ١٩٩٤م، ٤٠٧.

٢٩. د. صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م، ٣٦/١.

٣٠. David crystal: Adictionary of linguistics and phontics , Basil Black Well , oxford ,350. Boalbaxi , Ramzy: Dictionary of linguistics terms ., Beirut , 1990, 502

٣١. انظر: د.أحمد عفيفي، نحو النص، ١٩ – ٢٠.

٣٢. ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ب ك)، ٣ / ١٩٢٨.

٣٣. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، صـ٩٤٢.

٣٤. المعجم الوجيز، مادة (س ب ك)، صـ ٣٠١.

٣٥. انظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، صـ ١٠٣.

٣٦. السابق، نفس الصفحة.

٣٧. انظر: د. سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، صـ ٢٢٧.

٣٨. د. أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي ،صـ ٩٠.

٣٩. د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ١ / ٩٦.

٤٠. د/ تمام حسان، اجتهادات لغوية، صـ ٣٣٦، انظر: هاليدي، الفصل التاسع، ١٩٨٥ م.

٤١. د. صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، ٩٦/١.

٤٢. د.سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعرية، صـ ١٥٤.

٤٣. د. صبحي الفقي، علم اللغة النصي، ١ /٧٤.

٤٤. انظر: د. حسام فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩ م، صـ ٨٠.

٤٥. انظر: د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، صـ٧٧.

٤٦. انظر : د. بشرى حمدي، د. وسن عبد الغني، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية)، صـ١٨٣.

٤٧. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح و ل)، ٣ / ٤٣.

٤٨. الفيومي المقري، المصباح المنير، مادة (ح و ل)، صـ٩٧.

٤٩. ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، صـ ١٧١.

٥٠. انظر: د/ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان للنشر والتوزيع، صـ ١٣٧ – ١٣٨.

٥١. براون ،وبول، تحليل الخطاب، ترجمة / محمد لطفي الزليطي، د/ منير التريكي، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، صـ ٣٦.

٥٢. د/ أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي ،٢٠٠١ م، صـ ١١٦.

٥٣. انظر: محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م، صـ ١٦، ١٧.

٥٤. انظر: د/ الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، صـ١١٨؛ انظر: د/ أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٠ م، صـ ٧٣.

٥٥. انظر: محمد خطابي، لسانيات النص، صـ ١٧.

٥٦. انظر: د/ سعيد بحيري، دراسات لُغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م، صـ ١٠٣.

٥٧. انظر: د/ الأزهر الزناد، نسيج النص، صـ ١١٨.

٥٨. د / سعيد بحيري، دراسات لُغوية تطبيقية، صـ ١٠٤.

٥٩. انظر: ابن تيمية، الدرء: ٧/ ٣٢٥، ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص٩٦.

٦٠. ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ ١٢٦.

٦١. انظر ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ١٢٧.

٦٢. أخرجه مسلم رقم (٢٣٩٨) من حديث عائشة – رضي الله عنها – .

٦٣. ابن قيم، بدائع الفوائد، ٢٦٩ .

٦٤. كلاوس برينكر، التحليل اللُغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

٦٥. ابن قيم، بدائع الفوائد، ٢٦٩ .

٦٦. ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ٥٦٧.

٦٧. انظر: السابق، صـ٦٠٩.

٦٨. دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ٢٣٢، انظر : د. أحمد عفيفي، نحو النص، ١٢١.

٦٩. أخرجه أحمد: (١٩٥/٢٨) رقم ١٦٩٨٨ وابن حبان في " الإحسان ": (٣٤٢/١٥)، الحاكم (٢/ ٤١٦)، والبيهقي ١٥٢/٢ وغيرهم من حديث واثلة بن الأسقع – رضي الله عنه– والحديث صححه ابن حبان والبيهقي وصححه الحاكم على شرط مسلم وللحديث شاهد من حديث أم سلمة.

٧٠. انظر: ابن قيم، بدائع الفوائد، ٧٣٠.

٧١. السابق: ٧٩٤.

٧٢. أخرجه البخاري رقم (٢٠٣٥)، ومسلم رقم (٢١٧٥).

٧٣. انظر: د/ أحمد عفيفي، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، ٥٣٢/٢.

٧٤. انظر: د/ محمد خطابي، لسانيات النص، صـ٤١٨ د / حسام فرج، نظرية علم النص، صـ٨٣.

٧٥. انظر : ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ٣٢٠.

٧٦. انظر: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك في علم العربية، المطبعة الإعلامية بمصر، ١٣٩٤هـ، ط١، صـ١٧،١٦.

٧٧. د/ محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، صـ١١.

٧٨. انظر : د/ إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند، وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، صـ ١٠٥.

٧٩. انظر: ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ ٢٤، وتخريج الحديث لـ أبو داود رقم (٢٢١٤)، وأحمد في المسند: (٦/ ٤١٠).

٨٠. انظر: د.محمد خطابي، لسانيات النص، صـ ١٩.

٨١. انظر: د/ عباس حسن، النحو الوافي، مكتبة المحمدي، بيروت، ٢٠٠٧ م، ٢٦٧/١.

٨٢. ابن عقيل، شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٢، ١٩٨٠م، ١١٠/١.

٨٣. انظر: د.محمد خطابي، لسانيات النص، صـ١٩.

٨٤. سيبويه، الكتاب، ت/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م، ٢/ ٧٧، ٧٨.

٨٥. انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص في ما يكون به الملفوظ نصاً، صـ ١١٧، ١١٨.

٨٦. انظر: د.محمد خطابي، لسانيات النص ،مدخل إلى استخدام النص، صـ ١٧٧.

٨٧. ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ ٧٨.

٨٨. السابق، ٥٢٦.

٨٩. نفسه، ٧٣٤.

٩٠. د/ أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، صـ٢٦.

٩١. د. محمد خطابي، لسانيات النص، صـ١٩.

٩٢. ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ ٨١.

٩٣. السابق، صـ ٨٣.

٩٤. أخرجه أحمد ٤/ ٢٤، الطبراني في الكبير: ١ /٢٨٧، ابن حيان في الاحسان، ١٦ /٣٥٦، والبيهيقي الاعتقاد، صـ٩٢ من طريق قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع.

٩٥. ابن قيم، بدائع الفوائد، صـ ١٢٥.

٩٦. انظر: د. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٦، صـ ١٤٩.

٩٧. فولفجانج وفيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، صـ ٣٠١.

٩٨. انظر: انطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، صـ٦٥.

٩٩. انظر: د/ أحمد عفيفي، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، والإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، ٥٣٥/٢.

١٠٠. انظر: د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة ،١٩٩٣ م، صـ ٣١، ٣٢.

١٠١. سورة الأعراف: ١٥٧.

١٠٢. د.نادية رمضان محمد النجار، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، عناصر السبك بين القدماء والمحدثين، ٢ / ٥٦٣.

١٠٣. أخرجه البخاري رقم (١٤٧٦) ومسلم رقم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه .

١٠٤. أخرجه البخاري رقم (٦١١٤) ومسلم رقم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – (انظر: ابن قيم، ٧٣٠).

١٠٥. انظر: ابن قيم، ٧٣٤.

١٠٦. البقرة / ٢٥٧.

١٠٧. انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، صـ ١١.